

## صعوبات ومشاكل النّحو.

### Difficultés et problèmes de grammaire

علي رزوق\*

كلية الآداب واللغات والفنون

جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس (الجزائر)

rezzougali0022@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/11/11

تاريخ الاستلام: 2022/08/03

#### ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقصي المشاكل والصعوبات التي حالت دون الأخذ من الموروث النحوي العربي حيث ظلت المادة النحويّة هاجسا كبيرا لدى الباحث اللساني فضلا عن غيره، فأرهقته وحملته ما لا يُطيق، وكلفته من أمره غسرا، ،فما هي العقبات التي ظلّ يتخبط فيها هذا الإرث الثمين؟ ولعلّ من النتائج المتوصل إليها في بحثنا هذا أنّ أبرز هذه المعيقات تداخل الأبواب واضطراب العناوين، وصعوبة اللغة التي كُتبت بها مادّة النّحو، والتكرار والحشو إلى جانب غياب الأهداف والغايات عند التأليف، وكذا التضيق في منابع الاستشهاد والإغراق في التأويل، وعدم استقرار القواعد النحويّة، كل هذا أدى إلى تعمّر الإدراك وإحداث ضبابية الفهم عند الباحث اللساني .

الكلمات المفتاحية: - تيسير - التطور - الصعوبة والتعقيد .

#### Abstract:

This study aims to investigate the problems and difficulties that prevented the adoption of the Arabic grammatical heritage, as the grammatical material remained a great concern for the linguistic researcher as well as others, and it burdened him and carried him what he could not bear, and cost him hard, so what are the obstacles that this precious legacy has been floundering in ? Perhaps one of the results reached in our research is that the most prominent of these obstacles are the overlapping of chapters, the confusion of titles, the difficulty of the language in which the grammar was written, repetition and filling, in addition to the absence of goals and objectives when writing, as well as the narrowing of the sources of citation, immersion in interpretation, and the instability of grammatical rules. All this led to the difficulty of comprehension and the confusion of understanding for the linguistic researcher.

**Keywords:** - facilitation - development - difficulty and complexity.

## 1. مقدمة:

إنَّ الموروثَ النحوي الذي تركه أسلافنا الأجلُّ نَفِيسٌ غاية النَّفَاسَةِ، وأنَّ الجهدَ المبذولَ فيه خلال الأزمان المتعاقبة جهدٌ جديرٌ بالتقدير والإحترام ، بَيَدَ أن النَّحو كسائر العلوم الأخرى، بدأ بسيطا ثم نما وتطوَّر فداخَلَه التَّعْقِيدُ مما نحا به نحو الجمود والاستقرار ، فأصابه الوهنُ والضعف.

فأصبح في منتهى الصعوبة والتَّعْقِيدِ والتمحُّلِ، ممَّا أرهَقَ الصَّنَاعَةَ النحويَّةَ بمشاكل وعيوبٍ فما هي ياترى هذه العقبات والمعوقات؟ وما الحلول الناجحة التي يمكن من خلالها إعادة بناء صرح هذه المادَّة الثرية والنهوض بها من جديد حتى يتسنى لأبناء العربية النَّهْلَ منها من غير ما مشقَّة ؟ ونحن في بحثنا هذا نروم بيان تلك المشاكل والصعوبات على وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي يتماشى وطبيعة الموضوع ، ويمكن أن نشخص هذه العيوب والمشاكل في ثلاث نواحٍ أساسية هذا بياؤها:

## 2. أولا: عيوب كتب النحو:

## 1.2- تداخل الأبواب واضطراب العناوين:

لقد ظلَّت كتب النحو تُعاني من اضطراب في تتالي الأبواب وفي توزيع جزئيات الباب الواحد، فضلا عن الغموض في العناوين، مع غياب الدقة في المصطلحات وصعوبة الاهتداء إلى مسائل النحو ، وعدم التطابق بين العنوان وما تحته ، ونضرب على ذلك أمثلة ، منها ما ورد في كتاب سيبويه ( ت180هـ ) ، فهو خير نموذج لهذه الأحكام ، مع أنه يمثل أكمل وأنضج محاولة في التأليف النحوي قديما وحديثا، فقد ذهب العديد من الباحثين إلى أن الكتاب ليس له نسقٌ يجري عليه في ترتيب أبوابه ،ومن أبرز هؤلاء الباحثين الأستاذ علي التَّجدي الذي نجده يرى أن سيبويه كان يجري الموضوعات من غير حاجة إلا تشتيت الذهن وتعويق الإحاطة والتحصيل ، وأن النَّسق الذي اعتمده سيبويه في كتابه مخالف لنسق كتب النَّحو<sup>1</sup>.

ويرى أن ثمة أبوابا تبدو في مواضعها غريبة مقحمة ، ولم يستطع أن يجعل لها تأويلا لمقامها حيث تُقيم ، فإذا تكلم مثلا على القسم وحروفه بَيَّنَّ التصغير ونون التوكيد ، أي في الصَّرف مع أنها بالنحو أشبه كما لا يخفى ، وتكلم في باب مستقل على تركيب واحد من تراكيب الحال في أثناء الكلام على النَّعت وتفصيل أبوابه ، لم يجد في التركيب ولا في كلام سيبويه عنه إشارة بادية تدل على أنَّ بينه وبين جيرته شيئا من صلة ، أو وجها من تشابه<sup>2</sup>.

إضافة إلى أن سيبويه كان يجري الموضوعات المتشعبة ، ويُفرد لكلِّ جزء بابا ، حيث تكلم على الاستثناء في سبعة عشر بابا و(إنَّ وأنَّ) في ثلاثة عشر بابا ، والترخيم في اثني عشر بابا قال : "وهذا تشقيق مبالغ فيه يدلُّ على إهدار الروابط الجامعة ، ورعاية الفوارق اليسيرة ، ولا نعرف لذلك فائدة ، ولا نحسب أن بنا إليه حاجة ، إلا تشتيت الذهن وتعويق الإحاطة والتحصيل<sup>3</sup> .

أما الدكتور خديجة الحديثي فقد أشارت إلى أن أبواب سيبويه قد شابها بعض الخلط إذ تقول: " ولا يسير في ترتيب أبوابه وفصوله ترتيبا منطقيا سليما ، فهو يقدِّم أبوابا من حقها أن تتأخر ، ويؤخر أبوابا من حقها أن تتقدِّم

،ويضع فصولاً في غير مواضعها... لا يذكر مسائل الباب الواحد متصلة متتابعة ،بل يذكر بعضها في موضع ،وبعضها الآخر في موضع ثانٍ ،بعد أن يفصل بينها بأبواب غريبة عنها ،وفي هذه تجزئة للموضوع الواحد ،وتفرقة لمسائله في مواضع كثيرة<sup>4</sup>.

## 2.2- صعوبة اللغة في كتب النحو:

ومن العيوب التي طبعت كتب النحو القديمة، جمود اللغة والتواءها، ففي كثير من هذه الكتب نجد لغة مضغوطة مزدحمة بالدلالات ، والإشارات والأحكام النحوية العسيرة على الفهم، وأوضح مثال لهذين: كتاب سيبويه الذي يمثل في كثير من نواحيه لغة الفارسي المستعرب، في إيجازها وفي ازدحامها بالمعاني والأغراض ازدحاماً قد يبلغ حدّ الثخمة مع التواء حيناً وعجز يبلغ حدّ اللكنة أحياناً، أو نجد لغة موجزة كلغة المتنون وأشباهها<sup>5</sup>.

ويروي لنا الجاحظ (ت255هـ) في كتابه " الحيوان " حواراً جرى بينه وبين أبي الحسن الأخفش (ت215هـ)، يلومه على لغة النحاة الغامضة والمعقدة، فيقول: " قلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها، وما بالناس نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرها وما بالك تقدم بعض العويص، وتؤخر بعض المفهوم؟ قال: قال أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله، وليست هي من كتب الذين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلّت حاجتهم إليّ فيها وإنما كانت غايي المبالغة، فأنا أضع بعضها هذا الموضع المفهوم، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لا يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهباً<sup>6</sup>. وفي القرون المتأخرة كثرت عيوب اللغة في التأليف النحوي، والسبب في ذلك هو أن الدراسات النحوية كانت مقصورة على جماعة من النحويين واللغويين، وجدوا في تعقيدات تلك اللغة والتوائها مجالاً رحباً لاستفراغ طاقاتهم وللظهور بمظهر العلماء، خاصة في العصور التي نصبت فيها ملكة التجديد والإبداع في هذا الفن<sup>7</sup>.

## 3.2- التكرار والحشو:

وما تعانیه كتب النحو القديمة الطول المفرط الناشئ عن التكرار والاستطراد والحشو ومعالجة قضايا أجنبية لا صلة لها بالنحو. وما أسهم في ذلك أيضاً الولع بالجدل والمناقشات اللفظية، والإغراق في الجري وراء العلل وتتبع السقطات ولو كانت أسلوبية، والتسابق في تكثير الأقسام، رغبة في إظهار التفوق والسبق ، وتتمثل هذه الظاهرة في أوضح صورها في الشروح والخواشي والتقارير<sup>8</sup>. فكتب النحو القديمة تُنقّر قاصديها من تعلّم النحو، وتُرهِق المتخصّصين فيها لشدة صعوبة متنها.

## 3. ثانياً- عيوب مناهج النحاة:

### 1.3- اضطراب منهج التأليف والتصنيف:

ومن أمثلة ذلك، اضطراب المنهج في كتاب سيبويه، وصعوبة الاهتداء فيه إلى مسائل النحو، حتى على المتخصّصين ، يقول محمد عبد الخالق عزيمة: " الرجوع إلى سيبويه في كل مسألة من الصعوبة بمكان ولا شيء

أشق منه، وليس أدلّ على ذلك من أنه قد خفي بعض ما في سيبويه على كثير من الأئمة الأعلام فكيف بغيرهم ممن لم يبلغ مبلغهم، ولم يدرك شأوهم؟"<sup>9</sup>

إذن فاضطراب منهج التأليف يفضي إلى تمحيص الكتاب كله حتى يستخلص المتعلم منها مبتغاه ، وفي ذلك من الإرهاق والنصب للباحث ما لا يخفى ، يقول الباحث مهدي المخزومي : "لو أراد المتخصّص في النحو والمتفرّغ له أن يدرس موضوعا نحويا دراسة وافية لكلفه الرجوعُ إلى كتب النحو في جميع عصورها جهدا مُضْنِيًا ، وأضاع كثيرا من وقته في سبيل التعرف على مسائل موضوعه في هذه الكتب المختلفة المناهج".<sup>10</sup>

ويقرّر هذا الكلام قول الدكتور حسن عون إذ يقول: "ويدهش القارئ حقل لهذا اللغوي العبقري في تلك الحقبة المبكرة بالنسبة للتأليف اللغوي أمام تبويه وتفصيله وتصنيفه لهذا الحشد الهائل من المسائل النحوية واللغوية ومن القضايا المتعددة المتزامية ، المتشابكة ، هذه القضايا وتلك المسائل التي كانت كفيّلة بأن تغرق من يتصدى لبحثها في بحر متلاطم ، أو تهوي به في دوامة ليس لها من قرار"<sup>11</sup>. فقد أسفر لنا الباحث من خلال ما تقدم عن الاضطراب الحاصل في كتاب سيبويه وإن كان أحيانا يلتمس له العذر بالنظر إلى غزارة المادة العلمية التي كان يجمعها.

### 2.3- غياب الأهداف والغايات :

إن المتأمل في مناهج النحاة في التصنيف والتأليف، يدرك أنها أقامت صرحها على أسس باعدت بين النحو ووظيفته والغاية المرجوة منه<sup>12</sup>.

فقد تأسس النحو عند القدامى على الجمع بين دراسة اللغة ودراسة النحو ، فكانت لهم جهود في ميدان جمع اللغة وتمحيص نصوصها ودراستها لاستخلاص القواعد منها إضافة إلى جهودهم في ميدان إقامة قواعد النحو على أساس ما توصلوا إليه في الدرس اللغوي.<sup>13</sup>

غير أن هذه الجهود المبذولة في هذا المضمار اعترتها مجموعة من العيوب ، أبرزها القطيعة بين اللغة والنحو من هنا صحّ ما يُقال : إنّ اللّغويين هم أصحاب الفضل الأوّل على النحويين وأنهم كذلك أهل الإساءة الأولى للنحو والنحاة، وهؤلاء وهؤلاء قد أحسنوا أيما إحسان إلى العربية والناطقين بها، وإن كانوا قد مزجوا إحسانهم بإساءة ، وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا.<sup>14</sup>

ويضيف إبراهيم مصطفى معقبا على هذا الخلل الذي وقع حين فصل الدارسون بين النحو واللغة، وفوّتوا على العربية خيرا كثيرا فيقول في هذا الصدد: "إنهم -أي النحاة- حين حددوا النحو وضيقوا بحثه، حرموا أنفسهم وحرّمونا إذ اتبعناهم من الاطلاع على كثير من أسرار العربية وأساليبها المتنوعة، ومقدرتها في التعبير ، فبقيت هذه الأسرار مجهولة ، ولم نزل نقرأ العربية ونحفظها ونرويهها ، ونزعم أننا نفهمها ونحيط بما فيها من إشارة وما لأساليبها من دلالة ، والحقّ أنه يخفى علينا كثير من فقه أساليبها ومن دقائق التصوير بها".<sup>15</sup>

### 3.3- التّضييقُ في منابع الاستشهاد:

ومن المآخذ الذي سجلها المحدثون على المتقدمين الاقتصار على أخذ اللغة على بعض القبائل دون بعض وهذا عائق بيّن أرهق التّحو وشكّك في مصداقيته ، وفوّت على النّحاة الأوائل كثيراً من مصادر الأخذ ومراجع الاستنباط أسفرت عنه الأيام بعد ذلك ، فبينت مدى تقصير اللغويين وقصور النحو المؤسّس على ما جمعه<sup>16</sup>. ولعل اقتصارهم على هذه القبائل بحجة أن تكون اللغة المستقاة عربية خالصة من الشوائب الأجنبية، والحقّ أن هذه الحجّة مردودة من أصلها، ولا تشفع لهم، لأنها واهية ، لأن هذه القبائل التي حادوا عنها في الأخذ عربية أصيلة ، وأنها قويّة الحجّة من بعض تلك التي حصروا فيها مادّتهم النّحويّة<sup>17</sup>.

### 3.4- توسيع الفترة الزمنية للاحتجاج:

لقد كان توسيع الفترة الزمنية التي حددها النحاة للاحتجاج ثغرة في الدّرس النّحوي حيث أدت إلى اضطراب القواعد وتباين الأقيسة، وكان المنهج اللغويّ السليم يقتضيهم أن يميّزوا بين مادّة لغوية تاريخية وصلت إليهم عن طريق النصوص القديمة، فتُصنّف على أنّها نحو تاريخي ، وبين المادّة اللغوية الحيّة التي تجري بها الألسن ويتداولها الناس في حياتهم<sup>18</sup>.

ومن المآخذ التي سجّلها تمام حسّان عل سببويه ومن سلك سبيله أنّهم لم يفصلوا بين مراحل تطوّر اللغة في دراستهم للهجات القبائل العربية، فاستقوا شواهدهم من فترة لغوية دامت أكثر من خمسة قرون كاملة<sup>19</sup>. ولم يكتفوا بمعيار الفصاحة في دراستهم للغة ، بل أضافوا معياراً آخر هو القواعد النحوية (الخطأ والصواب).

### 3.5- عدم استقرار القواعد النّحوية:

من بين عوائق النحو العربي اضطراب القواعد النحوية، بسبب اعتماد النحاة الأوائل على الشّعر كمصدر أساسي لاستنباط هذه القواعد، حيث أدّى إلى اضطرابهم في بعض أحكامهم وفتح باب الحمل على الضرورة بين البصريين والكوفيين وفي ذلك يقول مهدي المخزومي: "فالاعتماد على تقعيد القواعد ووضع الأصول على الشّعر وحده ، كان ممّا أدّى إلى اضطراب النحاة في بعض أحكامهم<sup>20</sup>. ويضيف أنّ النحاة لم يحاولوا الفصل بين لغة الشّعر ولغة النثر في تقعيد قواعدهم يقول: "مع أن الاقتصار على الشعر وحده خطوة متعثّرة في إثبات أسلوب عربي، فللشعر لغته الخاصة فليس كل ما يجوز في الشعر جائز في النثر<sup>21</sup>.

كما أن الشّعر في اللغة له أسلوب خاص وأوضاع وترتيب في الكلام يُقبل من الشّاعر ولا يُقبل من الكاتب عادةً ، ومن ثمّة لا يصلح الشّعر أن يكون هو الطّريق للقوانين النحوية لأنه لا تُؤمن فيه السّلامة والاستقامة بحكم ما به من قيود<sup>22</sup>.

## 6.3- التأثير بالمنهج الفكرية الأخرى:

لقد مرَّ النحوُ بمرحلة تأثر فيها بمنهجٍ فكريٍّ فلسفيٍّ، كعلم الكلام وأصول الفقه يقولُ الباحث علي أبو المكارم: "التَّحليل العلميُّ يثبتُ أنَّ الأصولَ النحويَّةَ قد استمدَّت مقوماتها من عناصرٍ إسلاميَّةٍ طوال فترة من الزمن قبل أن تتأثَّر هذه الأصولُ بمؤثراتٍ غيرِ إسلاميةٍ في أواخر القرن الثالث هجري وأوائل القرن الرابع"<sup>23</sup>. ويؤكد عبد الكريم خليفة هذا التأثير فيقول: "فكان للمنطق وعلم الكلام والفقه والفلسفة آثارٌ واسعة في هذا الأدب النحوي ، وإذا كانت هذه العلوم قد أغنت الدراسات النحوية ، وأدَّت إلى ظهور علماء يَقِفُون حياتهم على البحث في دقائقهِ"<sup>24</sup>.

## أ-تأثير النحو بعلم الكلام:

أثَّر علم الكلام في علم النحو تأثيراً بليغاً ، لأنه سبقه إلى الوجود وذاع صيته وبرَز أعلامه، ولم يكن النحو يومها شيئاً مذكوراً، فمن طبيعة العلوم أن يتأثَّر لاحقها بسابقتها<sup>25</sup>.

## ب-تأثير النحو بعلم أصول الفقه:

ليس غريباً أن يتأثر النحو بعلم أصول الفقه لكونه من العلوم الدِّينية القريبة منه، غير أن الخطب الكبير التي ابتلي به النحو ولا يزال تأثيره قائماً إلى يوم الناس هذا هو تسرُّب عناصر أجنبية من مناهج التفكير إلى النحو، وسيطرتها على علوم النُّحاة ، وهي دراسة المنطق اليوناني الذي انتهى بهم إلى الانحراف عن الخطَّ اللُّغوي الأصيل لدراسة النحو.

ومن أبرز مظاهر التأثير الاهتمام البالغ بالنصوص جمعاً واستقصاءً على طريقة الأصوليين، وتحديد المصلحة النحوية على شاكلة الأصوليين، وتأثَّر النحويين بالعلَّة الأصولية فوضعوا على منوالها العلَّة النحوية<sup>26</sup>.

## ج-تأثير النحو بالفلسفة اليونانية:

نهج النحو العربيُّ منهج الفكر الفلسفي، في توجيه المسائل الاتِّفافية والخلافية، وتكوين المتن الاصطلاحي للنحو العربي، إضافة إلى الإجراءات التطبيقية القائمة على هذا الجدل الفلسفي والعقائدي<sup>27</sup>.

وبهذا التأثير ظلَّ النحو ينحرفُ عن طريقه ويتَّخذُ مساراً فصار مُلَفَّقاً، ليس فيه من سمات الدَّرس اللُّغوي إلا شكله ومظهره ودبَّ إلى هذا الدرس داء أودى بحيويته وقدرته على تأدية وظيفته، وبات درساً في الجدل يَعْرِضُ فيه النُّحاة مهاراتهم وقدراتهم على التحليل العقلي<sup>28</sup>.

وخرج النحو العربي عن وظيفته المرجوة وصار نوعاً من التَّقاش الفلسفي الذي لا يُراعِي طبيعة اللُّغة، ويؤكد هذا المعنى ما يُروى عن بعض أهل اللغة: "كُنَّا نحضِّر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئاً، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه، فأما من لا نفهم من كلامه شيئاً،

فأبو الحسن الرماني (ت384هـ)، وأمّا من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي (ت377هـ)، وأمّا من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي (ت368هـ)<sup>29</sup>

فهذه القصة تكشفُ الخللَ الحاصل بين النّحاة أنفسهم في المنهج والتّلقين ، والمتأمل في بعض كتب النّحو يجدها أشبه بالألغاز والأحجيات ، فهي تُستغلّق حتّى على المُعلِّمين فضلاً عن غيرهم .

ومن نماذج التّأثير الواضح بالفلسفة والمنطق ما ذهب إليه الزجّاجي (ت340هـ) في حدّه الاسم والفعل والحرف متبعا طريقة الفلاسفة في شروط الحدّ إذ يقول: "إن الحدّ لا يجوز أن يختلف اختلاف تضاد وتنافر لأن ذلك يدعو إلى فساد المحدود وخطأ من يحدّ ، ولكن ربما اختلفت ألفاظه على حسب اختلاف ما يوجد منه، ولا يدعو ذلك تضاد المحدود، كما يوجد الحدّ تارة من الأجناس والفصول وتارة من المواد والصور لأن المادة تُشاكل الجنس، والصورة تُشاكل الفصل، ألا ترى أن الفلاسفة الذين هم معدن هذا العلم - معرفة الحدود والفصول والخواص وما أشبه ذلك- قد اختلفوا في تحديد الفلسفة نفسها<sup>30</sup>.

فالناظر في هذا الكلام في ماهية الحد وفلسفته يُدرك التّأثير الشديّد للزجّاجي بهذا العلم حتى إلى درجة غلبة مصطلحات المناطق وتعليقات الفلاسفة على منهجه في البسط والتحليل .

#### 4.ثالثا- مآخذ في المادّة النّحوية:

##### 4.1- غرابة المصطلحات النّحوية:

إن المتأمل في المادّة النّحوية التراثية يدرك أنّها عويصةٌ و مستعصية إلى حدّ النفور منها فهذا الأستاذ علي النّجدي عند حديثه عن مصطلحات سيبويه وأسلوبه في الكتاب يذكر أنه يؤثر الانصباب والاسترسال وأن مصطلحات عباراته متلاحمة مستوية يجذب بعضها بعضا وتأخذ فيها الهوادي بالتّوالي فهي تمر بين يديك في أكثر الأمر متداركة لا تكاد تنقطع أو تنقسم حتى تتم مسائل الباب كله أو مرحلة من مراحلها ، ثم يذكر أن عبارات كتابه ومصطلحاته تتفاوت وضوحا وغموضا يقول: "فرما وضحت حتى تصير كفلّق الصّبح سُفورا وإشراقا تسبق إلى الفهم ألفاظه معانيه ، وربما غمضت واستغلقت حتى تكون كالأحاجي والطلّسمات ، يحار فيها الفهم ويرتد فيها القارئ عجزا وكلّلا وبين هذين مراتب من الوضوح والغموض لا تكاد تُحصى كثرة<sup>31</sup>.

ويذهب عبد الصّبور شاهين إلى أن مصطلحات النّحو العربي تميزت بالمتانة وغلبة الصّنع النّحوية يقول: قد نصادف في الكتاب تعبيرات يُعيننا أن نجني منها ثمرة<sup>32</sup>.

ويمكن في هذا المقام أن ندرج بعض الشّهادات من التّراث العربي نفسه لإثبات ما نحن بشأنه، إذ يُروى أنّ أبا مسلم مؤدّب عبد الملك حضر درسا في النّحو ولم يفهم منه شيئا نتيجة إغراقهم في مصطلحاته ونظرياته، فعافه وهجا أصحابه<sup>33</sup>.

ويؤكد الباحث أنيس فريحة أن المتن الاصطلاحي الذي كتب به النحاة الأوائل ألحق المادة النحوية مشاكل وصعوبات أهمها النفور من الدرس اللغوي وفي هذا يقول أن الشقة بين المدلولات الأولى للمصطلحات وبين ما ترمز إليه في هذا العلم واسعة وتشكل عثرةً لأكثر الطلاب ... يفهمها علماء اللغة والمتفقهون لكن لا تعني شيئاً عند المتعلمين<sup>34</sup>.

#### 2.4- تداخل المصطلحات وتعدد المفاهيم:

من عيوب المادة النحوية تداخل المصطلحات وتعدد مفاهيمها واحد والتباسها قد أدى إلى الاضطراب وعدم الوضوح وفي هذا يقول الباحث عوض القوزي معقبا على كتاب سيبويه: لا تنقطع الشكوى من عبارة سيبويه وأسلوبه ومصطلحه عند الباحثين سواء كان في موضع الصعوبة والغموض والإبهام أو في غيره من المواضع، حتى صارت هذه المعوقات حاجزا بين الباحثين والكتاب ، فلا يطمع أن يقرأها البحث في الوقوف على أسرار كتاب سيبويه فهو بعيد الفور صعب المراس<sup>35</sup> وقال في موضع آخر: " وهذا الأثر الضخم نقل إلينا عددا كبيرا من المصطلحات بأشكال وأنماط مختلفة متباينة في الطول ، والقصر وطريقة التعبير ، فكان تناولها بالدراسة شاقاً، وترويض الفكر عليها صعباً"<sup>36</sup>.

ويحكم الباحث مصطفى الحيادة على مصطلحات سيبويه ومن هذا حذوه بأنها اتسمت بالغموض وقصور العبارة عن تقديم المفهوم بشكل واضح، مما يجعل القارئ في عتمة وحيرة يقول: "كما نلاحظ هذا الأمر عند سيبويه عند معالجته لكان وأخواتها تحت باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد<sup>37</sup>، فهو يشير إلى الاسم الذي يرتفع بعد دخول كان وأخواتها عليه ، في حين نجده في موضع آخر يعبر عن اسم الفاعل بالفاعل، ومن ذلك قوله: "هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما فعلت فيه اسم الفاعل ، ولم تقو أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع وإنما شبهت بالفاعل لما عملت فيه"<sup>38</sup> وهنا يتضح تداخلاً كبيراً بين عدة مصطلحات وهي: (اسم كان وأخواتها، الفاعل ، اسم الفاعل ) مع أن لكل منهم مفهوم مختلف ، وفي هذه الحالة لا يدرك معنى المصطلح إلا من خلال سياقه وهذا أمر ينافي ما يطلب من المصطلحات من تشكيل الأركان الأساسية للمعنى المستفاد من النص إلا أن تفهم من خلال غيرها<sup>39</sup>.

ومن زاوية أخرى تطرق الباحث مصطفى الحيادة إلى بيان أثر ظاهرة تعدد المصطلحات عند سيبويه وأنها إشكالية عويصة تحول دون الفهم والإدراك ، سواء كان هذا التعدد في دلالة اللفظ الواحد على أكثر من مفهوم ، أو تعدد الألفاظ الدالة على مفهوم واحد يقول: "وإذا عدنا إلى تراثنا النحوي للوقوف على مواطن التعدد والاختلاف وجدنا فيه ما ينتج عن اختلاف المدارس النحوية ، وما يكون داخل المدرسة الواحدة بين أعلامها وحتى بين العالم الواحد، وأما ما نتج من الخلاف بين المدارس النحوية ، خاصة بين البصرة والكوفة فأغلب الظن أن منشأها - أي المصطلحات - كان سبب اختلاف النظرة التي ينظرها كل منهما إلى المصطلح<sup>40</sup>. فالأستاذ مصطفى الحيادة يشير فيما تقدم إلى أن تعدد المصطلحات سبب الخلاف حتى في عصر سيبويه ومعاصريه من أصحاب المدارس الأخرى ، فكيف بمن جاء بعده إذ من الصعب أن يكون المصطلح أشد تعقيداً.

#### 3.4- الاختلافُ البين في القواعد النحوية:

التباين والتفرق في العديد من القواعد النحوية ظلَّ هاجسا كبيرا وعيبا جليًا فيها، حيث شكل عقباتٍ في سبيل إدراكها، وتوظيفها في الخطاب على وجه محكم دقيق بعيد عن الفوضى والاضطراب، هو شأن العلوم القاعدية الدقيقة التي تأخذ بصاحبها إلى غاياتها وتنهض به في يسر وسهولة ودقة.<sup>41</sup>

فبسبب هذا الخلط في القواعد النحوية عزف المتعلمون عن تناول النحو العربي وتولى فريق منهم عن النهل منه إلا بحسب مؤمنا بأن ما فاتته ليس ذا بال .

#### 4.4- تعدّد الآراء والأقوال في المسائل النحوية:

ومن أظهر الهتات التي سجّلت على النحو العربي قضية تعدّد الآراء وكثرة الخلافات حول المسألة الواحدة ،حتى ليستطيع الباحث أن يرى الرأي فيقول وهو آمن : إنَّ هناك رأيا آخر يناقضه ،من دون أن يحمل نفسه مشقة الاطلاع ،والجري وراء هذا التقيض ،ذلك أنه يعلم من طول ممارسة النحو ،والنظر في قواعده ،أنّ الواحدة منها لا تخلو من رأيين ،أو آراء متعارضة<sup>42</sup>.

والمطلع على الكثير من كتب النحو يهوله ما يرى منها من كثرة تشعب الآراء وكثرتها وتنافرها حتى ما لا يحتاج إلا تعدّد، ومعظم المسائل مختلف فيها لم تجتمع كلمة النحاة على رأي موحد فيها ،ولم تتفق أحكامهم على شيء من الكليات أو المسائل الجزئية .

#### خاتمة:

فهذه أهم وأبرز مشاكل وعيوب النحو وصعوباته ممّا تيسّر لنا - بحمد الله - جمعه وتلك وحدها كافية لجعله علما معقّدا مستعصيا، يعكس مرارة معاناة أهله ومريديه فضلا عن الوافدين عليه من غير أهل العربية .

ولاسيما في عصرنا هذا ،حيث أضحى النحو لا يحظى بما تحظى به الدراسات العلميّة والأدبية من العناية والاهتمام والولاء ،إلا من قبل طائفة قليلة ممّن اضطرّتهم الدراسات المتخصصة إليه ،فيقصّدونه على مرارة واستكراه ممّا شابه من تداخل الأبواب واضطراب العناوين ،وصعوبة اللغة التي كتبت بها مادّة النحو ،والتكرار والحشو إلى جانب غياب الأهداف والغايات عند التأليف ،وكذا التضيق في منابع الاستشهاد والإغراق في التأويل، وعدم استقرار القواعد النحويّة ، ، ومن ثمّ وجب على المخلصين من أهل اللغة الدّعوة إلى التيسير ،واطّراح تلك الملابس والتعقيدات و إنقاذه ممّا هو واقع به، حتى يتهيأ لأبناء العربية الإفادة منه .

#### الهوامش:

<sup>1</sup>علي النجدي ،سيبويه ،إمام النحاة، ص179.

- <sup>2</sup> ينظر : نفسه، ص 185.
- <sup>3</sup> نفسه ،صفحة نفسها،
- <sup>4</sup> خديجة الحديثي ،أبنية الصّرف في كتاب سيبويه ص 67.
- <sup>5</sup> حسن عباس، اللغة والبنحو بين القديم والحديث، ص 225.
- <sup>6</sup> الجاحظ أبو عثمان، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج 1، ص 92.
- <sup>7</sup> مبروك سعيد عبد الوارث، في إصلاح النحو العربي، ص 27.
- <sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 27.
- <sup>9</sup> المبرد أبو العباس، المقتضب، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة، ج 1، ص 127.
- <sup>10</sup> المرجع نفسه ، ج 5 ص 01.
- <sup>11</sup> المصدر نفسه ، ص نفسها.
- <sup>12</sup> العزاوي نعمة رحيم ، في حركة تحديد النحو وتيسيره في العصر الحديث ص 18.
- <sup>13</sup> مبروك سعيد عبد الوارث، في إصلاح النحو العربي، ص 28.
- <sup>14</sup> حسن عباس، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ص 78.
- <sup>15</sup> مصطفى ابراهيم، إحياء النحو، ط 2، القاهرة، 1992، ص 7.
- <sup>16</sup> حسن عباس، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص 77.
- <sup>17</sup> المرجع نفسه، ص 79.
- <sup>18</sup> العزاوي نعمة رحيم، من قضايا تعليم اللغة العربية رؤية جديدة، ص 98.
- <sup>19</sup> ينظر: تمام حسان ،الأصول ، ص 118.
- <sup>20</sup> مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ، ص 335.
- <sup>21</sup> نفسه ،الصفحة نفسها.
- <sup>22</sup> مبروك سعيد عبد الوارث ، في إصلاح النحو العربي ص 30.
- <sup>23</sup> صالح محمد سالم، أصول النحو، ص 56.
- <sup>24</sup> خيفة عبد الكريم، تيسير العربية بين القديم والحديث، ص 45.
- <sup>25</sup> المبارك مازن، النحو العربي ، العلة النحوية نشأتها وتطورها، ص 79-80.
- <sup>26</sup> نخلة محمد أحمد، أصول النحو العربي، ص 15.
- <sup>27</sup> حسّاني أحمد ،النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي، ص 385.
- <sup>28</sup> المخزومي مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 14-15.
- <sup>29</sup> ابن الأنباري أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: ابراهيم السامرائي، ص 234.
- <sup>30</sup> الزجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علم النحو، ص 46-47.
- <sup>31</sup> علي النجدي، سيبويه إمام النحاة ، ص 154.
- <sup>32</sup> عبد الصبور شاهين في التطور اللغوي ص 164.
- <sup>33</sup> التوحيد (أبو حيّان)، الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، ج 02، ص 39.

- <sup>34</sup> أنيس فريجة، نظريات في اللغة، ص 167.
- <sup>35</sup> عوض القوزي، المصطلح النحوي، ص 129.
- <sup>36</sup> عوض القوزي المصطلح النحوي، ص 88.
- <sup>37</sup> سيبويه الكتاب، ج 45، 1.
- <sup>38</sup> نفسه، ج 4، ص 434.
- <sup>39</sup> مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي، ص 86.
- <sup>40</sup> نفسه، ص 24.
- <sup>41</sup> حسن عباس، اللغو والتحو بين القديم والحديث، ص 73.
- <sup>42</sup> نفسه، الصفحة نفسها.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1423هـ-2003م.
2. ابن الأنباري أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: ابراهيم السامرائي، ط 3، الأردن، مكتبة المنار، 1985م.
3. أنيس فريجة، نظرات في اللغة، دار الكتاب البناني، بيروت، ط 2، 1981
4. تمام حسان، الأصول، (دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988م.
5. التوحيدي (أبو حيان)، الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، 1942م.
6. الجاحظ أبو عثمان البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط 2، القاهرة. مطبعة مصطفى الباب الحلبي، 1965م.
7. حساني أحمد، النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي (بحث).
8. خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1965م.
9. خليفة عبد الكريم، تيسير العربية بين القديم والحديث، ط 1، عمان منشورات دار مجمع اللغة العربية الأردني، 1986م.
10. الزجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علم النحو، تح: مازن المبارك، ط 3، بيروت، دار التفائس 1979م.
11. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 2004م
12. صالح محمد سالم، أصول النحو، ط 1، القاهرة، دار السلام، 2006م.
13. عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ط 2، دار المعرفة، مصر. (دت).

14. عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.
15. العزاوي نعمة رحيم، في حركة تحديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1995م.
16. علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، ط2، 1979م.
17. علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، ط2، 1979م.
18. عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره أواخر القرن الثالث هجري، شركة الطباعة العربية السعودية، ط1، 1981م.
19. مازن المبارك، النحو العربي، العلة النحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر، 1383هـ، دمشق.
20. المبرد أبو العباس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط3 القاهرة، لجنة إحياء التراث، 1994م.
21. مبروك عبد الوارث، في اصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1406هـ.
22. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي، عالم الكتب الحديث، ط1/2000.
23. مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ط2 بيروت، دار الرائد العربي 1986.
24. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطابع دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م.
25. نخلة محمد أحمد، أصول النحو العربي، ط1، بيروت، دار العلوم العربية 1987م.